

تفسير ابن كثير

يقول تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم { واغلظ عليهم } أي في الدنيا { وماوأهم جهنم وبئس المصير } أي في الآخرة ثم قال تعالى : { ضرب الله مثلا للذين كفروا } أي في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجدي عنهم شيئا ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم ثم ذكر المثل فقال : { امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين } أي نبين رسولين عندهما في صحبتها ليلًا ونهارًا يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط { فخانتاهما } أي في الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما في الرسالة فلم يجد ذلك كله شيئا ولا دفع عنهما محذورا ولهذا قال تعالى : { فلم يغنيا عنهما من الله شيئا } أي لكفرهما { وقيل } أي للمرأتين { ادخلا النار مع الداخلين } وليس المراد بقوله : { فخانتاهما } في فاحشة بل في الدين فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء كما قدمنا في سورة النور .

قال سفيان الثوري عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قرم : سمعت ابن عباس يقول في هذه الآية { فخانتاهما } قال : ما زنتا أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه وقال العوفي عن ابن عباس قال : كانت خيانتها أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجابرة من قوم نوح به وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء وقال الضحاك عن ابن عباس : ما بغت امرأة نبي قط إنما كانت خيانتها في الدين وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم وقد استدلت بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذي يآثره كثير من الناس : من أكل مع مغفور له غفر له وهذا الحديث لا أصل له وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال : يا رسول الله أنت قلت من أكل مع مغفور له غفر له ؟ قال : لا ولكني الآن أقوله